

البشارة والإنذار في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كما وصفها القرآن الكريم



محمد جمعة الحلبوسي

البشارة والإنذار في دعوة الرسول كما وصفها القرآن الكريم

الإهداء

إلى حضرة مولانا وسيدنا محمد بن عبد الله ﷺ خاتم الأنبياء وسيد

المرسلين من منحه الله الولاية على المؤمنين وإلى أزواجه

أمهات المؤمنين الأطهار وجميع أهل بيته وذريته الطيبين الأبرار

وأصحابه المجاهدين الأخيار ومن سلك سبيلهم ما تعاقب الليل

والنهار وإلى والديَّ الكريمين وولدي وزوجتي .

أهدي لهم ثمرة جهدي .

المقدمة

الحمد لله على إحسانه حمداً يوجب المزيد من رضوانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في سلطانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله لإيضاح برهانه، صلاة تدوم على مرور الزمان ومرور أحيانه وسلم تسليماً كثيراً.

فهذه قبسات موجزة من سيرة سيدنا محمد (ﷺ) في جانب مهم من جوانب رسالته وهو دعوته (ﷺ) للناس ، وبما أن الدعوة تركز على أمرين أساسيين وهما البشارة والإنذار؛ فقد تناولت ببحتي هذا ((البشارة والإنذار)) كما وصفها القرآن الكريم لما من دور في منهج الرسالة النبوية ، والدعوة المحمدية ، وبعد استقراء الآيات التي وردت في القرآن الكريم بهذا الخصوص ، تضمنت خطة بحثي من مقدمة و تمهيد ومبحثين وخاتمة

فأما التمهيد فجعلته من مطلبين:

المطلب الأول: تعريف البشارة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: . تعريف الإنذار لغةً واصطلاحاً.

والمبحث الأول: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فهو اقتصار النبي (ﷺ) على التبشير والإنذار.

المطلب الثاني: تقديم التبشير على الإنذار.

المطلب الثالث: إطلاق التبشير بالعذاب بدل الإنذار.

والمبحث الثاني: وفيه مطلبين:

البشارة والإنذار في دعوة الرسول كما وصفها القرآن الكريم

المطلب الأول: المخصوصون بتبشير النبي (ﷺ).

المطلب الثاني: المخصوصون بإنذار النبي (ﷺ).

وختمت بحثي بخاتمة ، وهذا مبلغ علمي، فإن أصبت فله الحمد وأن أخطأت فرحم الله من دلي على خطأي، لأتجنبه فما الكمال إلا لله وحده.

والحمد لله الذي تتم بنعمه الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الباحث

التمهيد

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :

تعريف البشارة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني :

تعريف الإنذار لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول

تعريف البشارة لغة واصطلاحاً

البشارة لغة: من (بشر) و(بشرة) من البشرى وبابه نصر و(أبشره) أيضاً و(بشره تبشيراً) والاسم (البشارة) بكسر الباء وضمها، ويقال (بشره) بكذا بالتخفيف (فابشر ابشاراً) أي سر والبشير الحسن الوجه والبشارة الجمال.

ويقال بشرت فلانا أبشره تبشيراً، وذلك يكون بالخير، وربما حصل عليه غيره من الشر، ويقال أبشرت الأرض إذا أخرجت نباتها، ويقال ما أحسن بشرة الأرض، ويقال بشرت الأديم إذا قشرت وجهه وتباشير الصبح أوائله والمبشرات الرياح التي تبشر بالغيث^(١).

والبشارة اصطلاحاً: كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب^(٢).

^١ انظر: مقاييس اللغة، احمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة / ٢٥١-٢٥٢، ومختار الصحاح، الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ٥٣، ولسان العرب لابن منظور، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٢٦/٥.

^٢ التعريفات، للجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ، ٤٥، وكشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، القاهرة، ١٩٦٣، ١٧/١.

المطلب الثاني

تعريف الإنذار لغة واصطلاحاً.

الإنذار لغة: مصدر قولهم أنذر ينذر، وهو مأخوذ من مادة (ن ذ ر) التي تدل كما يقول ابن فارس على التخويف أو التخوف، قال: ومنه الإنذار أي الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلا في التخويف وتناذر القوم خوف بعضهم بعضاً.

وقال الراغب: الإنذار إخبار فيه تخويف كما أن التبشير إخبار فيه سرور ومن ذلك قوله تعالى: (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى)٤. والندير: المنذر ويقع على كل شيء فيه إنذار إنساناً كان أو غيره قال تعالى: (لَإِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)٥.

وقال ابن الأثير: أصل الإنذار الإعلام يقال: أنذرته أنذره إنذاراً إذا أعلمته فأنا منذر ونذير أي معلم ومخوف ومحذر، ويقال نذرت به إذا علمته ومنه الحديث: كلما عرف أن قد نذروا به هرب.. أي علموا

٣ أنظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٥١٤.

٤ الليل: ١٤.

٥ الذاريات: ٥٠.

٦ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، القاهرة، ١٩٦١،

(٧٤٢).

البشارة والإنذار في دعوة الرسول كما وصفها القرآن الكريم

وأحسوا مكانه، أما قوله (أنذر القوم) فمعناه: أحذر منهم واستعد لهم وكن منهم على علم وحذر.^٧

الإنذار اصطلاحاً: قال ابن المناوي الإنذار: هو الإعلام بما يحذر ولا يكاد يكون إلا في تخويف يشع زمانه الاحتراز منه، فإن لم يسع كان إشعاراً.^٨

قال الكفوي: الإنذار هو إبلاغ الأمر المخوف منه، والتهديد به والتخويف منه قال: وذكر الوعيد مع الإنذار واجب لا مع التهديد.^٩

٧ النهاية في غريب القرآن والأثر، ابن الأثير، تحقيق طاهر احمد الزاوي، ومحمود الطناحي، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، ١٣٦٣هـ.

^٨ التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، ١٤١٠هـ، (٦٤)..

^٩ الكليات معجم المطلحات والفروق اللغوية، ابو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م، ٣٣٨/١

المبحث الأول وفيه : ثلاثة مطالب

المطلب الأول:

اقتصار النبي (ﷺ) على التبشير والإنذار.

المطلب الثاني:

تقديم التبشير على الإنذار.

المطلب الثالث:

إطلاق التبشير بالعذاب بدل الإنذار.

المطلب الأول:

اقتصار النبي (ﷺ) على التبشير والإنذار.

إن الله سبحانه وتعالى هو الحاكم المطلق وهو المتصرف المهيمن على كل شيء ومن هذا فلا يملك أحد سواه هذه القدرة الفريدة التي وجبت لكماله تعالى، ومن هذا فإن الأنبياء ما هم إلا وسائل لهداية الخلق وإبعادهم عن طريق الغواية والضلال فكان (ﷺ) بشيراً ونذيراً للناس ولا يملك إلا ما مكنه الله منه وشاء له.

وآيات التبشير والإنذار كثيرة في القرآن الكريم التي توضح لنا اقتصاره (ﷺ) على التبشير بالجنة والرضوان والإنذار من النار والغضب ونقف مع.

الآية الأولى: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْرَهْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)^{١٠}.

هذا إقرار من النبي (ﷺ) إني عبد أرسلت نذيراً وبشيراً وما من شأنني أن أعلم الغيب^{١١}.

^{١٠} الأعراف: ١٨٨.

^{١١} أنظر: تفسير القاسمي (محاسن التأويل) محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٧هـ_١٩٥٨م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ٧/٢٩١٩.

وجملة (إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) من تمام القول المأمور به مستأنفة استثنافاً بيانياً، ناشئة عن التبرؤ من أن يملك لنفسه نفعاً أو ضرراً لأن السامعين يتوهمون ما نفاه عن نفسه أحص صفات النبي فمن شأنهم أن يعجبوا من نفيه ذلك عن نفسه وهو يقول إنه رسول الله إليهم ويسألوا عن عمله ما هو بعد أن نفى ما نفى فبين لهم أن الرسالة مختصرة في النذارة على المفسد وعواقبها والبشارة بعواقب الانتهاء عنها واكتساب الخيرات^{١٢}.

كذلك ورد في الحديث عن أبي موسى (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) (مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قوماً فقال: رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان^{١٣}، فالنجاء النجاء، فأطاعته طائفة فأدجلوا على مهلهم فنجوا كذبت طائفة فبصحهم الجيش فاجتاحهم)^{١٤}.

فالرسول (ﷺ) هو البشير النذير لكل الناس فالسعيد كل السعادة من انتفع بما معه من النذارة والبشارة، والشقي كل الشقاوة من لم ينتفع بما معه من النذارة والبشارة.

^{١٢} أنظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، بدون طبعة، ٢٠٨/٩-٢٠٩.

^{١٣} (النذير العريان) قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثيابه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما دهمهم.

^{١٤} فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، رقم كنية وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ (١١/٣٢٢-٣٢٣) واللفظ له صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي (٢٨٤٩).

الآية الثانية: (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)^{١٥}.

في هذه الآية الكريمة يخبرنا ربنا جل جلاله بأنه ما أراد بإنزال القرآن على سيدنا محمد (ﷺ) إلا تقرير الحق، وذلك ما حصل فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما أرسل نبينا محمد (ﷺ) إلا مبشراً بالجنة وثوابها من آمن به ونذيراً بالنار وعذابها من كفر به.

قال ابن كثير -رحمه الله-: (يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد إنه بالحق نزل، كما قال تعالى: (لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَلَّمْنَا بِاللَّهِ شَهِيدًا)^{١٦}، أي متضمنا علم الله الذي أراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونهيته)

وقوله: (وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) أي ونزل إليك يا محمد محفوظاً محروساً لم يشب بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه، بل وصل إليك بالحق، فإنه نزل به شديد القوى الأمين المكين المطاع في الملاء الأعلى وقوله: (وما أرسلناك) أي يا محمد (إلا مبشراً ونذيراً) مبشراً لمن أطاعك من المؤمنين ونذيراً لمن عصاك من الكافرين^{١٧}.

قال السعدي: (بالحق أنزلنا هذا القرآن الكريم لأمر العباد ونهيهم وثوابهم وعقابهم (وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) أي بالصدق والعدل والحفظ من كل شيطان رجيم (وما أرسلناك إلا مبشراً) من أطاع الله بالثواب العاجل والآجل (ونذيراً)

^{١٥} الإسراء: ١٠٥.

^{١٦} النساء: ١٦٦.

^{١٧} تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، قدم له عبد القادر الارناؤوط، دار السلام بالرياض، ودار الفحاء بدمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ-١٩٩٨، ٩٤/٣.

البشارة والإنذار في دعوة الرسول كما وصفها القرآن الكريم

لمن عصى الله بالعقاب العاجل والآجل ويلزم من ذلك بيان ما بشر به وأنذر^{١٨}.

الآية الثالثة: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)^{١٩}.

في هذه الآية الكريمة يخبرنا ربنا سبحانه وتعالى بأنه بعث رسوله (ﷺ) شاهداً على هؤلاء الذين أرسل إليهم مبشراً لمن أطاع برحمة الله والجنة ومنذر العاصي بغضب الله والنار.

قال ابن كثير -رحمه الله-: عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: لما نزلت (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وقد كان أمر عليا ومعادا (رضي الله عنهما) أن يسيرا إلى اليمن فقال: (انطلقا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، إنه قد أنزل علي (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)^{٢٠}.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أن هذه الآية في القرآن: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) قال في التوراة: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين. أنت عبدي ورسولي. سميتك المتوكل. ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق. ولا يدفع السيئة بالسيئة. ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه

^{١٨} تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م (٤٦٨).

^{١٩} الأحزاب: ٤٥.

^{٢٠} ابن كثير ٦٥٦/٣

^{٢١} رواه الطبراني

الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا)^{٢٢}.

الآية الرابعة: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)^{٢٣}.

في هذه الآية يبين لنا ربنا العظيم بأنه أرسل رسوله (ﷺ) إلى الناس كافة وليس إلى قومه وحدهم، يبشرهم برحمة الله الممثلة في الالتزام بشريعته وينذرهم ويحذرهم مما يصيبهم في الدنيا والآخرة إن هم أصروا على الانحراف عن شرعه سبحانه وتعالى فهذه هي مهمة الرسول (ﷺ) وهذه هي وظيفته.

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة ولكننا أرسلناك كافة للناس أجمعين، العرب منهم والعجم والأحمر والأسود بشيرا لمن أطاعك ونذيرا لمن كذبك: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) إن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر.

ففي هذه الآيات قصر الرسول (ﷺ) المهمة التي أنيطت به على التبشير والإنذار وإن مسألة الهداية أمر عائد إلى الله سبحانه وتعالى وما عليه من حساب الخلق من شيء إنما حسابهم على الخالق الذي فطرهم فما هو إلا بشر خصه الله بالنبوة والرسالة لا علم له بالغيب ولا شأن له بالحساب إن هو إلا بشيرا ونذير.

^{٢٢} فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤٨٣٨/٨.

^{٢٣} سبأ: ٢٨.

المطلب الثاني

تقديم التبشير على الإنذار

إن المتأمل لآيات القرآن العزيز المتضمنة ألفاظ التبشير والإنذار يجد أن الغالب فيها تقديم ألفاظ البشارة والتبشير على ألفاظ العقوبة والإنذار.. ومن ذلك على سبيل المثال.

١. قوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) ٢٤
٢. قوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) ٢٥
٣. وقوله تعالى: (فَإِنَّمَا يَسْتَرْهَاهُ بِلِسَانِكَ لِئَلَّا يُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) ٢٦
٤. وقوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ٢٧
٥. وقوله تعالى: (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) ٢٨
٦. وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) ٢٩
٧. وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ٣٠

٢٤ الفتح : ٨.

٢٥ البقرة: ١١٩.

٢٦ مريم: ٩٧.

٢٧ المائة: ١٩.

٢٨ الإسراء: ١٠٥.

٢٩ الأحزاب: ٤٥.

٣٠ سبأ: ٢٨.

٨. وقوله تعالى: ﴿كَتَابٌ فَضَّلْتَ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۚ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^{٣١}

ففي هذه الآيات وغيرها، نجد أن الله سبحانه وتعالى قدم البشارة على الإنذار ولا يخفى ذلك على كل عارف بالله تعالى فهو يقدم الرحمة على العذاب والبشارة على الإنذار والخير على الشر والجنة على النار، وهذا من دواعي رحمته تبارك وتعالى، حيث يقول: (نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)^{٣٢}.

حيث قدم المغفرة والرحمة على العذاب وكذلك كانت دعوة النبي (ﷺ) فهو دعوة بشارة قبل أن تكون دعوة إنذار وكانت أكثر وصاياهم (ﷺ) أن بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا وما النبي (ﷺ) إلا رحمة مهداة للبشرية أجمع فكان من شأنه هذا أن يقدم البشارة على الإنذار.

فهذا أبو موسى الأشعري عن النبي (ﷺ) كيف كان يوصي أصحابه بالبشارة والتيسير فقال: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعثه ومعازدا إلى اليمن فقال (يسرا ولا تعسرا... وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ٣٣ ولا تختلفا)^{٣٤}.

^{٣١} فصلت: ٣-٤.

^{٣٢} الحجر: ٤٩.

^{٣٣} تطاوعا: أي ليطع كل منكما الآخر.

^{٣٤} فتح الباري: ٦/(٣٠٣٨)، مسلم (١٧٣٣) واللفظ له.

البشارة والإنذار في دعوة الرسول كما وصفها القرآن الكريم

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: (إن الدين يسر ولن يشاد أحد الأغلبة فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة^{٣٥} والروحة وشيء من الدلجة^{٣٦})^{٣٧}.

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر)^{٣٨}.

ولكن هذا لا يمنع أن يقدم في بعض الآيات القليلة جداً الإنذار على البشارة لمسائل خاصة تطلبت ذلك لأنه تعالى يعلم إنه لا يصلح إلا ذلك ومن ذلك قوله: (إن أنا إنذيرا وبشير)^{٣٩}، وفي الآية إنما قدم النذير على وصف البشير لأن المقام خطاب للمكذبين المشركين فالنذارة أعلق بهم من البشارة^{٤٠}.

ومنه أيضاً قوله تعالى: (أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ)^{٤١}.

وهنا قدم الإنذار على التبشير لأن التخويف هنا هو الأهم، إذ التخلية قبل التحلية^{٤٢}.

^{٣٥} الغدوة: (السير أول النهار).

^{٣٦} الدولجة: (السير آخر الليل).

^{٣٧} فتح الباري: ٣٩/١.

^{٣٨} سنن الترمذي: وهو الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد ابن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق:

عبد الرحمن محمد عثمان، ط الثانية، دار الفكر، ١٩٦٤م، (٣٦١٠).

^{٣٩} الأعراف: ١٨٨.

^{٤٠} انظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٠٩/٩.

^{٤١} هود: ٢.

والجمع بين الندارة والبشارة لمقابلة ما تضمنته الجملة الأولى من طلب ترك عبادة غير الله بطريق النهي وطلب عبادة الاستثناء، فالندارة ترجع إلى الجزء الأول، والبشارة ترجع إلى الجزء الثاني^{٤٢}.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: (الرَّتْلِكُ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ. أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ مُبِينٌ)^{٤٣}.

وقدم الإنذار على التبشير لأن إزالة ما لا ينبغي متقدمة على فعل ما ينبغي (في هذه الآية) وهو لا يفيد ما دامت النفس ملوثة بالكفر والمعاصي، فإن تطيب البيت بالبخور إنما يكون بعد الكنس وإزالة القاذورات، ألا ترى الطبيب الذي يياشر معالجة الأمراض البدنية يبدأ أولاً بتنقية البدن من أخلاط الرديئة ثم يياشر المعالجة بالمقويات.

فكذلك الطبيب الذي يياشر معالجة مرض القلب، لا بد له أن يبدأ أولاً بتنقيته من العقائد الزائفة والأخلاق الرديئة والأعمال القبيحة المكدرة للقلب وبعد تنقيته من المهلكات يعالجه بما يقويه من الطاعات^{٤٤}.

^{٤٢} انظر: تفسير تنوير الأذهان في تفسير روح البيان، الشيخ إسماعيل حقي البروسي، تحقيق اختصار محمد علي الصابوني، الدار الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٩٩٠، بغداد العراق (١٦٥/٢).

^{٤٣} انظر: التحرير والتنوير ٢١٦/١١.

^{٤٤} يونس: ٢-١.

^{٤٥} أنظر: تنوير الأذهان ١٢٥/٢.

وهذا لا يتعارض مع ما أشرنا إليه من تقديم البشارة على الإنذار لأن ذلك هو منهجه العام، أما في هذه الآيات فهي خاصة لبعض الحالات التي كشفنا النقاب عن سبب تقديم العكس من ذلك.

المطلب الثالث

إطلاق التبشير بالعذاب بدل الإنذار.

من المعروف إن التبشير يكون بالخير وبشيء يسر له المبشر وهذا هو ديدن اللغة لكنه إذا أريد التهكم يستعمل التبشير بالعذاب وهذا أسلوب بياني احتواه القرآن الكريم، فقد وردت عدة آيات بهذا الأسلوب منها.

الآية الأولى: (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْبَتَّؤُنَّ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)^{٤٦}.

قال الصابوني: (عبر تعالى بلفظ (بشر) تهكما بهم أي أخبر يا محمد المنافقين بعذاب النار الأليم). (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) أي أولئك هم الذين يوالون الكافرين ويتخذونهم أعوانا وأنصارا لما يتوهمونه فيهم من القوة ويتركون ولاية المؤمنين (أَلْبَتَّؤُنَّ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ) أي يطلبون بموالاتة الكفار القوة والغلبة؟ والاستفهام انكاري أي إن الكفار لا عزة لهم فكيف تبتغي منهم (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)^{٤٧}.

^{٤٦} النساء: ١٣٨-١٣٩.

^{٤٧} صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القلم العربي بجلب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-

وقال السعدي: (البشارة تستعمل في الخير وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ) الذين أظهروا الإسلام وابتطنوا الكفر، بأقبح بشارة وأسوأها وهو العذاب الأليم وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم وتركهم لمولاة المؤمنين فأى شيء حملهم على ذلك!! (أَيُنْغِزُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)^{٤٨}.

الآية الثانية: (لِإِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)^{٤٩}.

واستعمل بشرهم بمعنى أنذرهم تحكما وحقيقة التبشير، الإخبار بما يظهر سرور المخبر (بفتح الباء) وهو هنا يستعمل في ضد حقيقته إذ أريد به الإخبار بحصول العذاب، وهو موجب لحزن المخبرين فهذا الاستعمال في الضد معدود عند علماء البيان من الاستعارة ويسمونها تحكمية لأن تشبيه الضد بضده لا يروج في عقل أحد إلا على معنى التهكم أو التلميح^{٥٠}.

الآية الثالثة: (وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)^{٥١}.

^{٤٨} تيسير المنان: ٦٣١.

^{٤٩} آل عمران: ٢١.

^{٥٠} أنظر: التحرير والتنوير ٥/٢٣٣.

^{٥١} لقمان: ٧.

قال ابن عاشور: (البشارة) أصلها الإخبار بما فيه مسرة وقد استعيرت هنا للإنذار وهو الإخبار بما يسوء على طريقة التهكم^{٥٢}.
وللبشارة أثر عظيم في النفوس التي توعدهم بالخير أو المغفرة أو النصر فقد تكون كلمة (بشر) حاملة معنى الإغراء والاستحثاث على أداء أعمال يرضاها الله^{٥٣}.

وفي بعض الأحيان تأتي كلمة البشارة هذه عكس معناها كما مر فيما سبق فلا يستغرب ذلك وهو أسلوب معلوم عند العرب وقد استخدموه في أشعارهم وأمثالهم.

وهذا ينطبق على الآيات التي وردت بهذه الصيغة وهذا الأسلوب، قال تعالى: (وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آلِيمٍ)^{٥٤}.

وقال في موضع آخر: (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تَتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ بَصُرٌ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابِ آلِيمٍ)^{٥٥}، وقال: (وَالَّذِينَ يَكْمُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ آلِيمٍ)^{٥٦}، وقال (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ). فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ آلِيمٍ)^{٥٧}.

^{٥٢} أنظر: التحرير والتنوير ٣/٣٠٧.

^{٥٣} أنظر: شخصية الرسول الأعظم قرآنيًا، الشيخ جلال الدين الحنفي، ط ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، بغداد

(١٩٣).

^{٥٤} التوبة: ٣.

^{٥٥} الجاثية: ٧-٨.

^{٥٦} التوبة: ٣٤.

^{٥٧} الانشقاق: ٢٣-٢٤.

ففي هذه الآيات التي سبقت جاء التبشير على أسلوب التهكم بهم لما صدر منهم من أمر يستوجب ويستدعي ذلك فكان (ﷺ) مبلغاً لما جاءهم من أمر الله تعالى وأدى هذه الأمانة على أكمل وجه وهي الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

المبحث الثاني وفيه مطلبان :

المطلب الأول

المختصون بتبشير النبي (ﷺ) في القرآن الكريم.

المطلب الثاني

المختصون بإنذار النبي (ﷺ) في القرآن الكريم.

المطلب الأول

المخصوصون بتبشير النبي (ﷺ) في القرآن الكريم.

لقد أضيفت بشارة النبي (ﷺ) إلى المؤمنين مرة وإلى المحسنين مرة أخرى وإلى الصابرين وهكذا انسياق الآيات يحدد هذه الإضافة ومقتضى الحال يعينها بحسب المجريات وسنحاول التعرف على الذين خصوا بتبشيره (ﷺ) في القرآن الكريم.

١. المحسنون : قال تعالى: (لُكِّبُوا لِلَّهِ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ)^{٥٨}.

قال ابن كثير (رحمه الله) : (أي وبشر يا محمد المحسنين أي في عملهم القائمين بحدود الله المتبعين ما شرع لهم المصدقين الرسول فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربه عز وجل)^{٥٩}.

وقال السعدي: (وبشر المحسنين) بعبادة الله بأن يعبدوا الله كأنهم يرونه فإن لم يصلوا إلى هذه الدرجة فليعبدوه معتقدين وقت عبادتهم اطلاعه عليهم ورؤيته إياهم، والمحسنين لعباد الله بجميع وجوه الإحسان من نفع مال أو علم أو جاه أو نصح أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو كلمة طيبة ونحو ذلك.

^{٥٨} الحج: ٣٧.

^{٥٩} تفسير القرآن الكريم ٣/٣٠١.

فالمحسنون لهم البشارة من الله تعالى بسعادة الدنيا والآخرة وسيحسن الله إليهم كما أحسنوا في عبادته ولعباده (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) ^{٦٠}، (لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) ^{٦١}.

٢. **المخبتون:** قال تعالى: (فَالِهَكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ. الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُتَمِيمِينَ الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) ^{٦٢}.

وفي المخبتين قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك وقتادة: المتواضعين وقال السعدي، الوجلين، وقال عمرو بن أوس، المخبتين الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا، وقال الثوري: (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له.

وأحسن ما يفسر به هو ما بعده وهو قوله: (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)، أي صابرون على ما أصابهم من الحزن والمصائب والبلايا (وَالْمُتَمِيمِينَ الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) أي ينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهلهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاوليهم ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله) ^{٦٣}.

^{٦٠} الرحمن: ٦٠.

^{٦١} يونس: ٢٦.

^{٦٢} الحج: ٣٤-٣٥.

^{٦٣} انظر: تفسير القرآن العظيم ٢٩٧/٣-٢٩٨.

٣. المتبعون للذكر والخاشعون للرحمن: قال تعالى: (لِنَّمَا تُذَرُّ

مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ)^{٦٤}.

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره: إنما ينفع إنذارك يا محمد من آمن من القرآن واتبع ما فيه من أحكام الله (وخشي الرحمن بالغيب) يقول: وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين، لا المنافق الذي يستخف بدين الله إذا خلا ويظهر الإيمان في المأوى ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه وقوله) فبشره بمغفرة) يقول: فبشر يا محمد الذي اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه (وأجر كريم) يقول: وثواب منه له في الآخرة كريم وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة)^{٦٥}.

٤. المتقون: قال تعالى: (فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا بِلسَانِكَ لِئُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ)^{٦٦}.

قال الطبري - رحمه الله - : (يقول تعالى ذكره: فإنما يسرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك تقرؤه لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه بالجنة (وتنذر به قوما لدا) يقول: ولتنذر

^{٦٤} يس: ١١.

^{٦٥} جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، تحقيق احمد محمد

شاکر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م (٢/٤٩٦).

^{٦٦} مريم: ٧.

بهذا القرآن عذاب الله قومك من قريش فإنهم أهل جدل بالباطل لا يقبلون الحق^{٦٧}.

قال ابن كثير - رحمه الله -: (فَإِنَّمَا يَسْرُنَا) يعني القرآن (لِسَانَكَ) أي ام محمد وهو اللسان العربي الفصيح الكامل (تُبَشِّرِ بِهِ الْمُتَّقِينَ) أي المستجيبين لله، المصدقين لرسوله، (وتنذر به قوما لدا) أي عوجا عن الحق مائلين إلى الباطل^{٦٨}.

٥. الصابرون: قال تعالى: (وَلَتُبْلَوُنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْعُرَاكِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ)^{٦٩}.

بين الله الصابرين فقال: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ) أي تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبده بما يشاء وعلموا إنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة فأحدث ذلك لهم اعترافهم بأنهم عبيده وإنهم إليه راجعون في الدار الآخرة ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم في ذلك فقال (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) أي ثناء من الله عليهم.

قال سعيد بن جبير أي أمانة من العذاب^{٧٠}.

^{٦٧} جامع البيان ٢٦٣/١٨.

^{٦٨} تفسير القرآن العظيم ١٩٠/٣.

^{٦٩} البقرة: ١٥٥-١٥٦.

^{٧٠} انظر: تفسير القرآن الكريم ٢٦٩/١-٢٧٠.

قال الطبري -رحمه الله- (يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الصابرين الذين يعملون أن جميع ما بهم من نعمة فمني فيقرون بعبوديتي، يوحدونني بالربوبية ويصدقون بالمعاد والرجوع إلي فيستسلمون لقضائي، ويرجون ثوابي ويخافون عقابي ويقولون عند امتحاني إياهم ببعض محني وابتلائي إياهم بما وعدتهم أن ابتليتهم به من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التي أنا ممتحنهم بها إنا ممالك ربنا ومعبودنا أحياء، ونحن عبيده وإنا إليه بعد مماتنا صائرون تسليماً لقضائي ورضا بأحكامي)^{٧١}.

٦. المؤمنون: قال تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا)^{٧٢}، وقال: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ)^{٧٣}، وقال أيضاً: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)^{٧٤}، وقال في آية أخرى: (وَالثَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)^{٧٥}، وقال: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ)^{٧٦}، وقال: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا)^{٧٧}، وقال: (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)^{٧٨}.

^{٧١} جامع البيان ٢٢٢/٣.

^{٧٢} الكهف: ٢.

^{٧٣} البقرة: ٢٥.

^{٧٤} البقرة: ٢٢٣.

^{٧٥} التوبة: ١١٢.

^{٧٦} يونس: ٢.

^{٧٧} الأحزاب: ٤٧.

^{٧٨} الصف: ١٣.

ففي هذه النصوص تبشير للمؤمنين على اختلاف منازلهم وعلى اختلاف هذه البشرى وهذا الثواب يوم القيامة.

ففي قوله تعالى في سورة التوبة نجد أن المؤمنين قد بين الله أنواعها وأصنافهم قبل التبشير حيث قال: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) ٧٩.

قال السعدي: (كأنه قيل: من هم المؤمنون الذين لهم البشارة من الله بدخول الجنات ونيل الكرامات؟ فقال لهم: (التَّائِبُونَ) أي الملازمون للتوبة في جميع السيئات. (الْعَابِدُونَ) أي: المتصفون بالعبودية لله والاستمرار على طاعته من أداء الواجبات والمستحبات في وقت فبذلك يكون العبد من العابدين. (الْحَامِدُونَ) لله في السراء والضراء واليسر والعسر المعترفون بما لله عليهم من النعم الظاهرة والباطنة المثنون على الله بذكرها وبذكره في آناء الليل وآناء الليل. (السَّائِحُونَ) فسرت السياحة بالصيام أو السياحة في طلب العلم، وفسرت بسياحة القلب في معرفة الله ومحبته والإنابة إليه على الدوام، والصحيح إن المراد بالسياحة السفر في القربات كالحج والعمرة الجهاد وطلب العلم وصلة الأقارب ونحو ذلك. (الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ) أي المكثرون من الصلاة المشتملة على الركوع والسجود. (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات، (وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ) وهي جميع ما نهى الله

ورسوله عنه. (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) بتعلمهم حدود ما أنزل الله على رسوله وما يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام وما لا يدخل، الملازمون فعلاً وتركاً. (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) لم يذكر ما يبشرهم به ليعم جميع ما رتب على الإيمان من ثواب الدنيا والدين والآخرة بالبشارة متناولة لكل مؤمن، وأما مقدارها وصفتها فإنها تحسب حال المؤمنين وإيمانهم ، قوة وضعفاً، وعملاً بمقتضاه^{٨٠}.

٧. العباد: قال تعالى: (بَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)^{٨١}.

قال الطبري -رحمه الله-: (يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ) فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين فيتبعون أرشده وأهداه وأدله على توحيد الله والعمل بطاعته ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد ولا يهدي إلى سداد)^{٨٢}.

وقال السعدي: (أمر الله نبيه ﷺ) ببشارتهم وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال (بَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وهذا جنس يشمل كل قول فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إثارة مما ينبغي اجتنابه فهذا من حزمهم وعقلهم إنهم يتبعون أحسنه وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله ﷺ)^{٨٣}.

^{٨٠} تيسير المنان: ٣٥٣.

^{٨١} الزمر: ١٧-١٨.

^{٨٢} جامع البيان ٢١/٢٧٤.

^{٨٣} تيسير المنان: ٧٢١.

المطلب الثاني

المختصون بإنذار النبي (ﷺ) في القرآن.

الإنذار سمة من سمات الدعوة التي جاء بها كل الأنبياء والمرسلين فما نبي إلا وأنذر ويحكي لنا القرآن الكريم ويصور ذلك، وقد حاق بالأمم التي خالفت دعوة الأنبياء ما حاق لأنها لم تأخذ الإنذار مأخذ التصديق أو لأنهم قد أجمعهم العناد فلم يحركوا ساكناً هذا فإن إنذار النبي (ﷺ) قد خصص في مكان وأطلق في آخر. أما من اختصوا بإنذاره (ﷺ) منهم:

١. الأحياء: قال تعالى: (يُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ)^{٨٤}.

وفي المنذر هنا أكثر من رأي فمن المفسرين من قال إنه القرآن ومنهم من أشار إلى أنه النبي (ﷺ).

قال الطبري - رحمه الله -: قوله (يُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) يقول: إن محمد إلا ذكر لكم لينذر منكم من كان حي القلب، يعقل ما يقال له ويفهم ما يبين له، غير ميت الفؤاد بليد)^{٨٥}.

وقال ابن كثير: لينذر هذا القرآن كل حي على وجه الأرض كقوله (لأنذركم به ومن بلغ)^{٨٦}.

^{٨٤} يس: ٧٠.

^{٨٥} جامع البيان ٤٥٩/٢٠.

قال الزمخشري: بأنه محتمل للقرآن وللرسول، والحي هو العاقل المتأمل لأن الغافل كالميت أو من كان معلوماً عنه إنه يؤمن فحياً بالإيمان^{٨٧}.

٢. الناس: قال تعالى: (وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ) ٨٨، وقال تعالى: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ) ٨٩، وقال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) ٩٠.

في هذه الآيات إنذار للناس جميعاً وإن إرساله (ﷺ) إليهم نذير بين يدي عذاب شديد وليس إليه من حسابهم من شيء فأمرهم إلى الله تعالى إن شاء عجل لهم العذاب وإن شاء أخره عنهم وإن شاء تاب على من يتوب عليه وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة وهو الفعال لما يريد ويختار^{٩١}.

٣. من لم يأتهم نذير قبل زمن الرسول (ﷺ)

قال تعالى: (لنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) ٩٢، وقال تعالى: (لنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) ٩٣، وقال تعالى: (لنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْذَرْنَا أَبَاءَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ) ٩٤.

^{٨٦} انظر: التفسير القرآن العظيم ٣/٧٦٦.

^{٨٧} الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمد بن عمر الزمخشري، طهران بدون طبعة.

^{٨٨} إبراهيم: ٤٤.

^{٨٩} يونس: ٢.

^{٩٠} الحج: ٤٩.

^{٩١} انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٣٠٧-٣٠٨.

^{٩٢} السجدة: ٣.

ففي هذه الآيات عني بهم العرب فإن ما آتاهم من نذير من قبله وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم^{٩٥}.

٤. أم القرى ومن حولها. قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)^{٩٦} وقال تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)^{٩٧}.

فأم القرى مكة (وَمَنْ حَوْلَهَا) من سائر البلاد شرقاً وغرباً وسميت أم القرى لأنها أشرف من سائر البلاد^{٩٨}.

٥. الأقارب والعشيرة: قال تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)^{٩٩}.

وهذا إنذار خاص وهو لا ينافي الإنذار العام، وقد جمع النبي (ﷺ) المقربين إليه وأنذرهم وقد تواترت الأحاديث بخصوص ذلك.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: لما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دعا رسول الله (ﷺ) قريشا فاجتمعوا فعم وخص، فقال: يا بني كعب

^{٩٣} القصص: ٤٦.

^{٩٤} يس: ٦.

^{٩٥} انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٧٤٤.

^{٩٦} الشورى: ٧.

^{٩٧} الانعام: ٩٢.

^{٩٨} تفسير القرآن العظيم ٤/١٣٦.

^{٩٩} الشعراء: ٢١٤.

بن لؤي، يا بني مرة بن كعب، يا بني عبد شمس، ويا بني عبد مناف، ويا بني هاشم ويا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، ويا فاطمة أنقذي نفسك من النار، إني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبليها ببلاها^{١٠١}).

٦. الذين يخشون ربهم بالغيب. قال تعالى: (لِنَّمَا تُذَرِّدُوا الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ)^{١٠٢}.

أي إنما يتععض بما جئت به أولوا الأبصار والنهي الخائفون من ربهم الفاعلون ما أمرهم به^{١٠٣}.

قال الزمخشري: (يعني إنما تقدر على إنذار هؤلاء تحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم)^{١٠٤}.

٧. الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم. قال تعالى: (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ)^{١٠٥}.

قال سيد قطب (رحمه الله) : (أنذر به هؤلاء الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم حالة أن ليس من دونه ولي ينصرهم ولا شفيع

^{١٠١} أي أصلكم في الدنيا ولا أعني عنكم من الله شيئاً.

^{١٠١} سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، بيروت، دار الفكر، القاهرة، دار الحديث، ١٩٨٧م،

(٣٦٤٤)، والترمذي (٢٣١٠).

^{١٠٢} فاطر: ١٨.

^{١٠٣} تفسير ابن كثير ٣/.

^{١٠٤} أنظر: الكشاف.

^{١٠٥} الانعام: ٥١.

يخلصهم ذلك إنه ما من شفيع يشفع عند الله إلا بإذنه، وهو لا يشفع يومئذ . بعد الإذن . إلا لمن ارتضى الله أن يشفع عند الله فيهم.. فهؤلاء الذين تستشعر قلوبهم خوف ذلك اليوم الذي ليس فيه - من دون الله - ولي ولا شفيع أحق بالإنذار وسمع له، وأكثر انتفاعاً به، لعلمهم أن يتوقوا في حياتهم الدنيا ما يعرضهم لعذاب الله في الآخرة، فالإنذار بيان كاشف كما إنه مؤثر موحٍ، بيان يكشف لهم ما يتقونه ويحذرونه، ومؤثر يدفع قلوبهم للتوقى والحذر، فلا يقعون فيما نھوا عنه بعدما تبين لهم^{١٠٦}.

٨. من يخشى الآخرة. قال تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يُّخْشَاهَا)^{١٠٧}.

والكلام عن الساعة كما هو معلوم من الآيات التي سبقت هذه الآية (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا . إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يُّخْشَاهَا).

والمعنى: إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأفلح وأنجح.

والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك^{١٠٨}.

فالإنسان الذي يخشى ويخاف الآخرة ويكون هذا الخوف نابع من خشية الله والخوف من عذابه هو المتقبل للإنذار المنتفع به.

^{١٠٦} في ظلال القرآن: سيد قطب، ط ٣٤٥، دار الشروق، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ٢/١٠٩٩.

^{١٠٧} النزاعات: ٤٥.

^{١٠٨} انظر: تفسير القرآن الكريم ٤/٦٠٤.

٩. القوم اللد. قال تعالى: (فَإِنَّمَا يَسِرُنَا لِبَلْسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) ١٠٩.

وقوما لدا: أي عوجا عن الحق مائلين إلى الباطل. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: قوما لدا لا يستقيمون. وقال الثوري عن إسماعيل - وهو السدي - عن أبي صالح: (وتنذر قوما لدا) عوجا عن الحق. وقال الضحاك: الألد الخصم وقال القرطبي: الألد الكذاب، وقال الحسن البصري: (قوما لدا) صما وقال غيره: صم أذان القلوب، وقال قتادة: (قوما لدا) يعني قريش وعن ابن عباس: (قوما لدا) فجارا، وكذا روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد. وقال ابن زيد: الألد: الظلوم، وقرأ قوله تعالى (وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ) ١١١١٠.

١٠ _ الذين قالوا لله ولدا. قال تعالى: (وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) ١١٢.

الإنذار في هذه الآية من الكتاب أو من الرسول (ﷺ) إنذارا خاصاً للذين قالوا اتخذ الله ولداً كاليهود والنصارى وكفار العرب. قال ابن إسحاق وهم مشركو العرب في قولهم نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله.

١٠٩ مريم: ٩٧.

١١٠ البقرة: ٢٠٤.

١١١ تفسير القرآن العظيم ١٩٠/٣.

١١٢ الكهف: ٤.

١١ _ إنذار لأصناف مختلفة. كقوله تعالى: (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) ١١٣. وقوله تعالى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) ١١٤. وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمْعُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ) ١١٥. وقوله تعالى: (وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) ١١٦. وقوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) ١١٧. وقوله تعالى: (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى) ١١٨.

ففي قوله تعالى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) إشارة إلى النبي (ﷺ) أن يقول لهم ويأمرهم بواحد وهي (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ قُرْدِمْ ثُمَّ تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ) أي تقوموا قياما خالصا لله عز وجل من غير هوى ولا معصية فيسأل بعضكم بعضاً (ثم تفكروا) أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد (ﷺ) ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر في ذلك ولهذا قال تعالى: (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ قُرْدِمْ ثُمَّ تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ)، وقوله تعالى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) إلى هؤلاء القوم الذين سبق ذكرهم وقد أنذرهم الرسول (ﷺ) بذلك ١١٩.

١١٣ الذاريات: ٥٠.

١١٤ سبأ: ٤٦.

١١٥ الأنبياء: ٤٥.

١١٦ الانعام: ١٩.

١١٧ فصلت: ١٣.

١١٨ الليل: ١٤.

١١٩ أنظر تفسير القرآن العظيم ٧١٦/٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، واشكره بدهاء وختاماً على ما أولاني من النعم المتردافات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد السادات وإمام الكل في الحضرات ، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الحشر والميقات وبعد : من خلال دراستي لآيات البشارة والإنذار في القرآن الكريم أحمده الله تعالى على ما من عليّ من القدرة والقوة وهذا كرمٌ منه أسطر ما توصلت إليه من نتائج وحقائق :

- ٠١ إن البشارة والإنذار من مستلزمات الدعوة فلا تكون بدونها .
- ٠٢ إن النبي (ﷺ) مهمته التبشير والإنذار وليس من شأنه الحساب أو معرفة المغيبات أو إنزال الهداية لكائن من كان .
- ٠٣ إن هناك أصنافاً اختلفت بالتبشير والإنذار في القرآن الكريم تخصص في موضع وتعمم في موضع آخر وحسب مقتضى الحال وهذا ليس من باب التعارض بين آيات القرآن الكريم .
- ٠٤ في أغلب الآيات يقدم التبشير على الإنذار لأن هذا هو من منهج الرحمة الإلهية وطبيعة الرسالة النبوية إلا في بعض الآيات حيث قدم الإنذار على التبشير لحالات خاصة تطلب فيها تقديم ذلك .

٥٠ إطلاق لفظ البشارة بالعذاب للكافرين والعصاة وهو من باب التهمك بهم والازدراء مجالهم وجه بلاغي بديع .

هذه أهم نتائج البحث وهي امور مسلم بها وليست بدعا من الإنتاج

الفكري .

اللهم تقبل منا واقبلنا واشملنا بشفاعه النبي (ﷺ) يوم تشخص الأبصار إلى

السماء . . . وصلى الله على سيدنا محمد (ﷺ) خاتم النبيين وشفيع

المدنيين وقائد الغر المحجلين صلاة دائمة باقية حتى يرث الله الأرض ومن

عليها وهو خير الوارثين .

المصادر

١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، بدون طبعة، ٢٠٨/٩-٢٠٩.
٢. التعريفات، للرجائي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
٣. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، قدم له عبد القادر الارناؤوط، دار السلام بالرياض، ودار الفيحاء في دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٤. تفسير تنوير الأذهان في تفسير روح البيان، الشيخ إسماعيل حقي البروسي، تحقيق واختصار: محمد علي الصابوني، الدار الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٩٩٠، بغداد - العراق.
٥. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، ١٤١٠هـ.
٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٧. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٨. سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح لابن عيسى محمد ابن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر، ١٩٦٤م.
٩. سنن النسائي، احمد بن شعيب النسائي، بيروت، دار الفكر، القاهرة، دار الحديث، ١٩٨٧م.
١٠. شخصية الرسول الأعظم قرآنيًا، الشيخ جلال الدين الحنفي، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، بغداد.

- ١١_ صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، لبنان، دار احياء التراث العربي.
- ١٢_ صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القلم العربي بحلب، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ١٣_ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.
- ١٤_ في ظلال القرآن، سيد قطب، ط٣، دار الشروق، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ١٥_ كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهاتوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ١٦_ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمد بن عمر الزمخشري، طهران بدون طبعة.
- ١٧_ الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.
- ١٨_ لسان العرب، لابن منظور، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ١٩_ محاسن التأويل (تفسير القاسمي) محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
- ٢٠_ مختار الصحاح، الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ٢١_ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، القاهرة، ١٩٦١م.
- ٢٢_ مقاييس اللغة، احمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ٢٣_ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر احمد الزاوي ومحمود الطناحي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٣هـ.

المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع	ت
١	الإهداء	١
٢	المقدمة	٢
٤	التمهيد	٣
٨	المبحث الأول :	٤
٩	المطلب الأول : إقتصار النبي (ﷺ) على التبشير والإنذار	
١٤	المطلب الثاني: تقديم التبشير على الإنذار	٥
١٩	المطلب الثالث: إطلاق التبشير بالعذاب بدل الإنذار	٦
٢٣	المبحث الثاني :	٧
٢٤	المطلب الأول : المخصوصون بتبشير النبي (ﷺ) في القرآن الكريم	
٣١	المطلب الثاني: المخصوصون بإنذار النبي (ﷺ) في القرآن الكريم	٨
٣٨	الخاتمة	٩
٤٠	المصادر	١٠
٤٢	المحتويات	١١